

أضواء البيان

@ 39 @ يَتَوَفَّي السَّادِينَ كَفَرُوا ° الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ °
وَأَدْبَارَهُمْ ° { الآية وقوله تعالى : } وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ
الَّذِينَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ { وقوله تعالى : } فَكَيِّفَ إِذَا
تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَالَهُمْ ° { وأما رؤيتهم الملائكة يوم القيامة فلا بشرى لهم فيها أيضاً ، ويدل لذلك
قوله تعالى : } وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَائِكًا لَّسَقَّضِيَ الْآمِرُ لَكُمْ لَاحِظُونَ .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { لَاحِظُونَ يَوْمَ مَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ } يدل
بدليل خطابه : أي مفهوم مخالفته ، أن غير المجرمين يوم يرون الملائكة تكون لهم البشرى ،
وهذا المفهوم من هذه الآية جاء مصرحاً به في قوله تعالى : { إِنَّ السَّادِينَ قَالُوا
رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ أَعْلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ وَالسُّورَةُ
تَخَافُونَ وَاللَّاحِظُونَ وَالَّذِينَ يَشْرُونَ وَالَّذِينَ كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة . { وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا } أظهر
القوليين فيه عندي أنه من كلام الكفار ، يوم يرون الملائكة . لا من كلام الملائكة وإيضاحه :
أن الكفار الذين اقترحوا إنزال الملائكة إذا رأوا الملائكة توقعوا العذاب من قبلهم ،
فيقولون حينئذٍ للملائكة : حجراً محجوراً : أي حراماً محرماً عليكم أن تسمونا بسوء أي
لأننا لم نركب ذنباً نستوجب به العذاب ، كما أوضحه تعالى بقوله عنهم { السَّادِينَ
تَتَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِلِينَ أَنْفُسُهُمْ فَالْقَوْمُ الظَّالِمِينَ } ما كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ مِنْ سُوءِ بِلَايِ إِنْ سَاءَ عَلَيْهِمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } فقولهم :
ما كنا نعمل من سوء : أي لم نستوجب عذاباً فتعذبنا حرام محرماً ، وقد كذبهم □ في
دعواهم هذه بقوله : { بِلَايِ إِنْ سَاءَ عَلَيْهِمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } وعادة
العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، أنهم يقولون هذا الكلام : أي حجراً محجوراً عند لقاء
عود موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك . .

وقد ذكر سيبويه هذه الكلمة أعني : حِجْرًا مَحْجُورًا في باب المصادر غير المتصرفة
المنصوبة فأفعال متروك إظهارها نحو : معاذًا ، وعمركًا ، ونحو ذلك